

الملامح العامة للاقتصاد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

*محمد علي بلقاسم¹

¹قسم التاريخ/ الجامعة المفتوحة سبها، ليبيا

*البريد الإلكتروني: shirgawimoha@gmail.com

الملخص

تعددت أنماط الحياة الاقتصادية عند العرب سكان شبه الجزيرة قبل الإسلام، فمن ذلك ممارسة التجارة والصناعة والزراعة وغيرها من الحرف التي تعتبر نمط حياة وشكل من أشكال المعاش التي فرضتها ظروف المنطقة آنذاك، كما استطاع سكان شبه الجزيرة من التغلب على أغلب الصعوبات التي واجهتهم من ظروف مناخية متمثلة في البيئة الصحراوية القاهرة، ومن الظروف السياسية المتمثلة في وجود قوتين عظيمتين ألا وهما: دولة الفرس والروم، واستطاع العرب آنذاك من تسخير أغلب تلك الصعاب إلى أمور متاحة سهلة مكنتهم من فرض سيطرتهم على تجارة العبور بين قارات العالم القديم، كم تمّ التطرق في هذه الورقة إلى الفئات الاجتماعية في المنطقة في تلك الحقبة، وامتهان كل فئة لنمط من الحرف والصناعة كل حسب مجاله.

الكلمات المفتاحية: الحرف، الجاهلية، الصناعات، شبه الجزيرة العربية، الاقتصاد.

General features of the economy in the Arabian Peninsula before Islam.

*Mohamed Ali Belkacem¹

¹History Department/ Open University of Sabha, Libya

shirgawimoha@gmail.com

summary

The economic lifestyles of the Arabs, the inhabitants of the peninsula before Islam, varied, including the practice of trade, industry, agriculture, and other crafts that were considered a lifestyle and a form of livelihood imposed by the conditions of the

region at that time. The inhabitants of the peninsula were also able to overcome most of the difficulties they faced from climatic conditions represented by the harsh desert environment, and from the political conditions represented by the presence of two great powers, namely: the Persian and Roman states. The Arabs at that time were able to harness most of those difficulties into easy, available matters that enabled them to impose their control over the transit trade between the continents of the ancient world. This paper also addressed the social classes in the region at that time, and the practice of each class of a type of craft and industry, each according to its field.

المقدمة

ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من الكتابات التي تُعنى بدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للعرب قبل مجيئ الإسلام، وقد تغيرت أحوال العرب في الماضي نظرا لتغير الظروف المناخية من جذب وقحط، أو من ظروف سياسية كحالة الحرب والسلم وغيرها، وتعد الدراسة في أوضاع المجتمعات القديمة في كثير من جوانبها (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...الخ) أمرا ذا أهمية كبرى للباحث والمؤرخين والمهتمين بمثل هذا النوع من الدراسات، فدراسة أحوال الماضي لتاريخ العرب هو الجسر الذي نستطيع أن نعبر به إلى دراسة أحوال العرب والمسلمين في الحاضر بعد ظهور الإسلام، لذا فإنَّ الغرض من هذه الدراسات هو محاولة فهم الواقع المعاش وطبيعة البنية الاقتصادية لسكان جزيرة العرب (أحوالهم الاقتصادية)، ولابد للباحث من إبراز بعض الجوانب المتعلقة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي، والظروف التي أسهمت بشكل أو بآخر في رسم ملامحها العامة.

أسباب اختيار الموضوع : الرغبة في البحث عن النشاط الاقتصادي للعرب قبيل ظهور الاسلام، وكذلك عن الفئات الاجتماعية في بلاد العرب.

إشكالية الدراسة: ترتكز هذه الإشكالية في إلقاء الضوء على ملامح النشاط الاقتصادي الذي مارسه العرب في الجاهلية والتي لا تزال بعض جوانبها يكتنفها بعض الغموض.

تساؤلات الدراسة: تطرح هذه الدراسة جملة من التساؤلات منها : هل أسهم التنوع البيئي وكذلك الظروف الجغرافية من تضاريس وعرة وصحاري شاسعة في بلاد العرب من تنوع اقتصاد المنطقة سلبيًا أو إيجابيًا؟ ماهي

أهم الحرف اليدوية والصناعات التي مارسها العرب قديماً؟ وهل كان للنشاط الاقتصادي المتمثل في الصناعة التجارة والزراعة دور مفصلي في حياة العرب في شبه الجزيرة العربية؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار دور أنماط الاقتصاد آنذاك - تجارة، زراعة، صناعة الخ...- والتي كان لها مساهمة واضحة في بناء وإنعاش اقتصاد العرب في الجاهلية، وكذلك تهدف إلى الحديث عن الدور المناط بالصنّاع والحرفيين في الدفع بعجلة الاقتصاد للعرب في الجاهلية، وقد أسهم بعض الباحثين في كشف بعض جوانبها إلا إنها لا تزال تتطلب المزيد من البحث والتقصي.

تقسيمات الدراسة.

قسمت هذه الدراسة إلى ثلاث مباحث رئيسة جاءت على الشكل التالي:

المبحث الأول: التنوع البيئي في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام وأثره على حركة الاقتصاد.

المبحث الثاني: أنواع النشاط الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام.

المبحث الثالث: البعد الاجتماعي للواقع الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام

المبحث الأول: التنوع البيئي وأثره على حركة الاقتصاد في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام

إن محاولة فهم القاعدة العامة للاقتصاد العربي قبيل ظهور الإسلام يستدعي بالضرورة معرفة نوعية البيئة التي نشأ وتطور فيها هذا النشاط، وكيف كان لهذه البيئة الأثر الواضح على صياغة ملامح ذلك الاقتصاد من حيث الكم والكيف.

عليه فإن تقديم صورة جغرافية لشبه الجزيرة العربية من شأنه أن يصل بنا إلى إدراك أهمية هذه البيئة في توجيه الفعاليات الاقتصادية للعرب قبيل الإسلام، وتوضيح أنواع الأنشطة الاقتصادية المختلف فيه.

تمتعت شبه الجزيرة العربية بموقع متميز جعلها تتوسط ما يسمى بالعالم القديم^(*)، كما هيأ لها موقعها هذا بصورة جعلتها تلعب دوراً مهماً في تاريخ العالم وحضارته في العصور القديمة والوسطى (الدلو، 37، 1989)، كما أنّ موقع بلاد العرب هيأ لها مكانة استراتيجية حيث تطل على مياه كثيرة فمن الشمال الشرقي تحيط بها مياه شط العرب، ثم الفرات، ثم نهر العاصي لتنتهي في خليج العقبة ويحيط بها من الشرق خليج البصرة (الخليج

(*) العالم القديم يقصد به عند الجغرافيين الأوائل قارة أوروبا وآسيا وأفريقيا، وإن شبه جزيرة العرب تقع بين بحر فارس والقلزم كأنها داخلية في البحر، ويحيط بها البحر الحبشي كما كان يسمى قديماً من الجنوب وبحر القلزم من الغرب، وبحر فارس من الشرق.

العربي) وعمان ، في حين يشكل بحر العرب وخليج عدن جانبها الجنوبي ويحدها من الغرب البحر الأحمر (الأصطخري،1961،12).

وقد تميزت الطبيعة الجغرافية لبلاد العرب بالتنوع والاختلاف، فهي ليست وحدة متماثلة في جميع أركانها، فهناك الصحاري والجبال، علاوة على بعض الوديان القليلة المياه الناتجة عن عدم سقوط الأمطار بدرجة كبيرة. فبالنسبة للجبال هناك جبال تهامة التي تشكل قطعة من اليمن وتطل على البحر الأحمر إلى الغرب من مكة (ابن حوقل،36) ، وبينها وبين نجد جبال السروات التي تمتد من اليمن جنوباً إلى الحجاز شمالاً ويتخللها غرس كثير (المغربي،1970، 117) ، وتتمثل هذه الجبال أيضاً في السراة الذي يصل ما بين اليمن والشام، فإنه ليس بجبل واحد وإنما مجموعة من جبال متسلسلة حيث تتصل من أقصى الجنوب إلى الشمال حيث الشام كما أشار إلى ذلك الهمداني. (الهمداني،1968).

أما جبال حضرموت (*) الممتدة من الشمال إلى الجنوب فتقع شرقي عدن قرب البحر وجبالها كثيرة ومتعددة الأحقاف ، أما على مستوى الصحاري فتشكل المساحة الأكبر في شبه جزيرة العرب وهي تضم بادية الشام وبادية السماوة (المغربي،44،25).

تقع نجد بين تهامة (*) والسروات⁽¹⁾ وهي قليلة الجبال مستوية البقاع، ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن ، ويغلب عليها الطابع الصحراوي، وتتنوع الأودية والواحات التي تحوي بعض مياه الأمطار والسيول كمخزون مائي لها (ابن حوقل،45-150).

من هنا يتضح أن شبه الجزيرة العربية صحراء شاسعة في الوسط عديمة الأنهار وشحيحة المياه، وهذا الأمر لم يشجع على الاستقرار فغلبت حالة البداوة وعدم الاستقرار، وكان طابع الرعي هو النشاط السائد، أما الوديان والسهول في شمالها وفي الهلال الخصيب بالذات فقد شجعت على حياة الاستقرار والزراعة في حين أتاحت الجبال الموجودة في الغرب والجنوب لبعض المناطق في الحجاز الفرصة لتكوين واحات اتسم طابع الحياة فيها بالاستقرار ولاسيما المدينة والطائف، ومكنت الجبال ووفرة المياه في منطقة اليمن من أن تكون ذات

(*) حضرموت: هي بلاد قديمة من ناحية اليمن مشتملة على مدينتين، يقال لاحدهما شبام وللأخرى تريم، وهي بالقرب من البحر شرقي عدن. (القزويني،35)

(*) نجد: هو إقليم يقع في وسط شبه الجزيرة العربية شرق الحجاز يمتد بين صحراء النفوذ الكبرى والربع الخالي. أما تهامة : ويقصد به الأرض المنخفضة من شرق مكة مواجهة للبحر القلزم إلى اليمن ويطلق هذا الاسم الآن على عسير، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها: (البغدادى،1989،99)

(1) السرات: قرية كبيرة مما يلي مكة، وهي سلسلة جبلية تبدأ جنوباً من اليمن وتمتد شمالاً إلى قرب الشام. (الحموي،1995، 217)

صبغة زراعية متحضرة وأسهم الموقع المتميز لشبه الجزيرة في تنشيط التجارة، وفي الوقت ذاته أوجد تنوع البيئة تنوعاً في النبات والحيوان والذي ترك أثره على طرق المعيشة (لوبان، 1979، 59).

المبحث الثاني: أوجه النشاط الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام
أولاً: الزراعة وملكية الأرض.

1- الزراعة.

أثرت العوامل الجغرافية في شبه الجزيرة العربية إلى ظهور مجتمعات عربية حضرية على أطراف الجزيرة ، يغلب على بعضها الطابع الزراعي، وعلى البعض الآخر الطابع التجاري، فنظرة البدوي إلى العمل الزراعي تتمثل بصورة عامة بعدم الاحترام لهذه المهنة (المبرد، 1956، 3) ، إلا أن العديد من الاعتبارات دفعت العرب إلى ممارسة النشاط الزراعي وبالأخص الذين سكنوا المدن فأهل نجد مثلاً قاموا بحفر الآبار وزرعوا الكروم والنخيل (المجاوري، 1951، 215) في حين اشتهرت أماكن أخرى مثل: اليمامة بإنتاج الحبوب والحنطة لكثرة العيون بها (الاصطخري، 1961)، كما كانت خيبر ووادي القري وفدك^(*) من المناطق الزراعية ، بالإضافة إلى حضرموت التي ازدهرت فيها زراعة محاصيل القمح والشعير والذرة بالإضافة إلى زراعة النخيل والقطن (خليل، 1982، 39).

أما الطائف^(**) فقد تميزت بإنتاجها الزراعي المميزة بكثرة الأشجار المثمرة والفواكه ولعل ذلك

يرجع إلى خصوبة تربتها ووفرة مياهها فضلاً عن عناية سكانها بحرفة الزراعة وما اكتسبوه من خبرة انعكست على وفرة إنتاجها دون سائر المدن في شبه الجزيرة العربية، كما أن هناك إشارات لامتلاك زعماء قريش مثل العباس بن عبد المطلب^(*) وغيره للأراضي والبساتين في الطائف (البلاذري، 1987، 75) ، وهذا الأمر له شأنه في تحديد طبيعة الملكية.

أما عن يثرب (المدينة) فاعتمد نشاطها الزراعي على مياه الوديان والآبار الكثيرة بها (السمهودي، 2، 1039/1981) وأدى ذلك إلى كثرة الإنتاج بفضل خصوبة تربتها، كما اشتهرت بغابات النخيل الكثيرة وبذلك أصبحت من المراكز الزراعية المهمة (الاصطخري، 1961، 78).

(*) فدك : واحة تقع في الحجاز قرب خيبر كان أهلها من المزارعين اليهود، صالحهم ﷺ على نصف أملاكهم. (الحموي، ج4، 238).

(**) الطائف مدينة تقع على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من مكة، وهي على عكس مكة أرض مرتفعة ذات جو طيب في الصيف، فيه زرع وضرع، وغنى جادت الطبيعة به على أهله. وقد كان وما زال مصيفاً طيباً يقصده أهل مكة فراراً من وهج الشمس وهي تقع على ظهر جبل غزوان. (علي، جواد، 7، 146/1977).

(*) العباس بن عبد المطلب وهو عم ﷺ وهو من أكابر رجال قريش في الجاهلية والإسلام إليه ينسب العباسيون، توفي عام 32 هـ 636م.

إن ما تم إيرادها فيما سبق يتناقض مع الرأي القائل بأن: ((العربي غير مؤهل للعمل في الزراعة)) (لاندو روم، 1977، 18) ويتنافى أيضا مع الشواهد والوقائع التاريخية التي تتعلق بإسهام العرب وخاصة سكان الحواضر في الزراعة، غير أن هذا لا يجب أن يدفعنا إلى إعطاء الإنتاج الزراعي دوراً أكبر مما كان عليه آنذاك وذلك باعتباره إنتاجاً من أجل التبادل الواسع؛ لأنه إذا صح اعتباره إنتاجاً تبادلياً فإنه ربما يرقى فقط إلى تبادل داخل المناطق والحواضر الموجودة في شبه الجزيرة العربية؛ أي ليس لغرض التبادل الخارجي مع الدول المجاورة ذلك أن طبيعة هذه البيئة تؤثر في نوعية وكمية الإنتاج وبالتالي لا تسمح بوجود فائض من الإنتاج يصدر إلى الخارج (علي، جواد، 14)

2- ملكية الأرض .

لعل فكرة الملكية التي كانت واضحة في المناطق الزراعية، يمكن أن تدل على بعض الأمور فيما يتعلق بجذور الملكية في الحجاز، فهناك العديد من الأشخاص قد امتلكوا أرضاً في الطائف، كما كانت ملكية الأرض في يثرب، ويظهر أن العبيد هم الذين كانوا يستخدمون في زراعة الأرض وفي إحياء الأرض الموات. ومن خلال العرض السابق يمكن تبني الرأي القائل بوجود أولى جذور الملكية البسيطة القائمة على الاستثمار غير الواسع للأرض وإن كان استثماراً يستهدف الربح وتحقيق فائض للتبادل المحلي (ابن قتيبة، 1960) مع ملاحظة أن هذا الاستثمار يقوم بالأساس على الاستفادة من عمل العبيد والأجراء في حدود طاقة الأرض الزراعية، وهي محدودة عموماً في الحجاز، وهناك بعض الإشارات التي تثبت أن العرب قبيل ظهور الإسلام قد عرفوا ملكية الأرض بدليل أن رؤساء القبائل قد سألوا النبي ﷺ مرات عديدة أن يعطي لهم قطعاً من الأرض ففعل مما يشير إلى معرفتهم بأهمية الأرض (البلادي، 103).

وبصورة عامة لا نجد في الحجاز أو نجد على سبيل المثال ملاكاً زارعين كباراً على غرار اليمن وذلك لصغر مساحة الأرض المسقاة بالمطر وبالمياه الجوفية في هذه البلاد (علي، جواد، 156/7).

ثانياً: النشاط الحرفي.

اعتاد جزء كبير من أهل العرب في الجاهلية أن الحرفة أو الصنعة من الأمور المستهجنة، فلا يليق بالعربي الحر أن يكون صانعاً أو حرفياً، والسبب في ذلك أنهم يرون أن الصنعة والحرفة من شأن الخدم والعبيد، ناهيك عن كونها أي الحرفة تقيد لحرية العربي الذي اعتاد على التنقل والترحال. (وضاح الصمد، 16، 1981)

وعند الحديث عن احتراف أي حرفة يظهر جلياً ذلك الاختلاف الكبير بين البدو والحضر بشأن وجهة كل فريق فيها، فالبدو يكرهون التعامل مع الحرف اليدوية ذلك لأنها من الأمور غير المحبذة، حتى وصل الأمر بهم إلى ازدياد بعض تلك الحرف، فعلى سبيل المثال كانت مهنة الحدادة مهنة غير مرغوب فيها عند البدو، وتعطي بعض الإشارات أدلة إلى أنّ الشعراء قد استغلوا لتحقير خصومهم لدى هجائهم. فهذا عمر بن كلثوم يعير النعمان بن المنذر بأن أمه كانت من أسرة تشتغل بالصناعة (وضاح الصمد، 1981، 151) حيث قال:

لحا الله أذننا إلى اللؤم زلفة

وألأ منا خالاً وأعجازنا أبا

وأجدرنا أن ينفخ السكير خاله

يصوغ القروط والشنوف بيثربا

ولعل عدم تقبل البدوي للحرف بشكل عام يعود إلى كونها تتطلب الاستقرار، وتتناقض مع نظرة البدوي للحياة، إلا أن متطلبات الحياة أملت عليهم في بعض الأحيان بضرورة وجود بعض الحرف البسيطة بين البدو أنفسهم لأن حياة البدوي لا تحتاج من الحرف إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجارة أو حدادة ، وإن وجدت هذه فإنها محصورة بالحاجات الضرورية فقط (ابن خلدون، 2001، 148)، ولعل أبرز دليل على تحكم الواقع في نشوء أي حرفة هو الظاهرة المتمثلة في بني أسد الذين امتنعت بعضهم حرفة الحدادة حتى أطلق عليهم القيون^(*) (ابن قتيبة، 1963، 54)، ومقابل موقف البدو من الحرف اليدوية جاء موقف أهل الحضر أكثر تقدماً فعلى سبيل المثال لا الحصر تأتي اليمن في مقدمة أجزاء شبه الجزيرة العربية حيث تنامت منتوجاتها الحرفية مما أدى إلى زيادة صادراتها مقابل وارداتها، وازداد مستوى المعيشة لدى الفرد فظهر التمايز الطبقي فيها (الدلو، 195/97)، أما ما يخص بلاد الحجاز فيقدم كل من الجاحظ وابن رسته تفصيلاً وافياً عن حرف أهل مكة. (الجاحظ، 1969، 174/2 ابن رسته، 1891).

ومن هنا يتضح أن عدم احترام المهن اليدوية كان موقوفاً على البدوي فحسب دون سائر العرب بوجه عام، بدلالة أن عرب مكة كانوا يعملون في مهن مختلفة، ولأهمية تلك الدلالات جاءت العديد من النصوص التي يتضح من خلالها وضع الحرف وأصحابها، فلقد أورد ابن قتيبة نصاً يوضح صورتهم فيقول: ((وأما حرف الأشراف فإنه روي: أن أبا طالب كان يعالج العطر والبز، وأما أبو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي

(*) القيون. جمع قين. وأقيان: ويقصد به الحداد والصانع، (ابن منظور، 1414هـ، 350/13).

الله عنهم فقد فكانوا بزازين، وكان سعد بن أبي وقاص يغدق النخيل وكان أخوه عتبة نجاراً، وكان العاص بن هشام جزاراً، وكان الوليد بن المغيرة حداداً، وكان عقبة ابن أبي معيط خماراً، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطاً، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والإبل)) (ابن قتيبة، 93).

اشتهرت بلاد الطائف بدباغة الجلود ويحتمل أنها كانت تُصدر إلى الخارج بدلالة سمعتها الحسنة التي وصلت إلى بعض الملوك، فالنجاشي ملك الحبشة كان يهدي إليه أدم الطائف (الواقدي، 1966، 742/2) وبالإضافة إلى ذلك فقد تعلم بعض أبنائها صناعة الدبابات والمنجنيق⁽²⁾ لحاجات دفاعية استلزم تعلمها. ولعل النشاط الحرفي في يثرب كان مؤدياً مهمته من حيث حاجات الناس، ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الحرف^(*) ارتبطت بالزراعة بالدرجة الأولى، وخاصة الحرف المعتمدة على إنتاج النخيل، ووجدت حرفة قائمة على طرق وإذابة المعادن لسك الحلي وصنع الأسلحة مثل: القسي والرماح ونحوها وقد اشتهر اليهود بمثل هذه الحرف. (أمين، أحمد، 24).

ثالثاً: النشاط التجاري.

شكّل موقع شبه الجزيرة العربية حلقة اتصال بين ما يسمى بالعالم القديم ومجاورته لمناطق لها مكانتها في السلم الحضاري مثل بلاد الشام والعراق وفارس ومصر، وكان لذلك دور كبير في تنشيط الحركة التجارية في المنطقة بالإضافة إلى انفراد الحجاز بموقع مركزي جيد إذ كان يتوسط بين الشام واليمن والتهائم (المسعودي، 2، 35/1987). فضلاً عن وجود خط بري يسير من الحيرة^(*) إلى البحرين ودمشق، ومصر، ومكة، واليمامة (ابن خردادبة، 125).

إلى جانب احتياج القوافل إلى محطات لتستريح فيها فهي تحتاج إلى من يقوم على خدمتها وكذلك عملية استبدال الإبل وخصوصاً عند المسافات الطويلة، وهي أيضاً يلزمها من يقوم على حمايتها وهو الدور الذي كانت

(2) الدبابة: هي آلة خشبية تستخدم قديماً في الحروب وبخاصة في حالة الحصار للحصون أو القلاع، يدخل تحتها الرجال لاتقاء تطاير السهام. أما المنجنيق، فهو أيضاً آلة مخصص لقذف الحجارة والمواد المحرقة أثناء الحروب. (ابن منظور، 2، 338، 10، 266)

(*) كان الحدادون يصنعون ما تحتاجه الفلاحة والمزارعون من محاريث ومساح وفؤوس لحراثة الأرض ومناجل للحصاد وغيرها، (الدلو، 101)

(*) الحيرة: مدينة تاريخية تقع في جنوب وسط العراق جنوب الكوفة، اتخذها اللخميون عاصمة لهم في القرن الثاني قبل الميلاد وقد سميت الحيرة وريفها تحت الحكم الفارسي الساساني بعرستان. (الحموي، 2، 328).

تقوم به القبائل الصحراوية مقابل أتاوات تقدمها القوافل لها، وقد وفرت هذه الوظائف أبواب الرزق للعديد من الناس

لقد أصبح للحركة التجارية دوراً في عملية الانفتاح الثقافي على الشعوب والحضارات المجاورة، فاليمن قد نشطت تجارياً في فترة من الفترات، وكذلك الحجاز الذي كان له انفتاحاً على المناطق المجاورة حيث كان لقريش رحلة إلى الشام وأخرى إلى اليمن (ابن هشام، 74/1).

وكان الأمر يتطلب لتنظيم تلك المعاملات التجارية أن يقوم القرشيون برسم سياسات تنظيم الحركة التجارية بين المناطق التي تمر بها القوافل التجارية، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية بأن هاشم بن عبد مناف كان صاحب إيلاف الرحلتين وأول من سنها، وذلك أنه أخذ لهم عصماً من ملوك اليمن واليهيم كان متجره، وأخذ لهم مطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق فألفوا الرحلتين⁽³⁾ في الشتاء إلى اليمن، والحبشة، وفي الصيف إلى العراق. (البلاذري، أنساب الأشراف، 1، 59/1959).

يتبين من النص السابق ذكره ما كان لبني عبد مناف من صلاحيات واسعة في عقد الاتفاقيات لضمان عبور قوافلهم، وذلك الأمر كان يتم بتقويض من كبار قادة قريش، وبهذا يمكن التأكيد على أنهم كانوا بمثابة وسطاء بين اقاليم البحر المتوسط في الشمال حيث فلسطين والشام وسواحل آسيا. ومصر (الحاج حسن، 1997، 193)، ولم تكن الطائف أقل شأنًا من مكة في الانفتاح على المناطق المجاورة والقريبة من شبه الجزيرة العربية، إذ كان لها تجارتها مع العراق واليمن والشام (الواقدي، 598/2)، واعتبرها أحد الباحثين أي الطائف، من أهم المشاركين في تجارة القوافل مع مكة، وحتى يثرب (المدينة) التي كانت أقل شأنًا في المجال التجاري من مكة والطائف لم تعد المشاركة في الأعمال التجارية مع المناطق الأخرى (الدلو، 135/1).

لم تقتصر التجارة في الحجاز على مكة والطائف ويثرب فحسب؛ بل إن ملوك الحيرة كانوا يرسلون بضائعهم كل عام إلى عكاظ لبيعها وشراء بضائع أخرى (ابن حبيب، د.ت، 195-196).

بهذا احتلت التجارة مكانة واسعة في حياة عرب الحجاز (والدليل على ذلك كثرة التعابير المالية والتجارية التي استعملها العرب قديماً وورد ذكرها في القرآن الكريم كالحساب والميزان والقسط والذرة والمتقال والقرض) (العلي، 2001، 137)

(3) أشار الله سبحانه وتعالى إلى هاتين الرحلتين في القرآن الكريم بقوله تعالى: {إِلَيْلَافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}. سورة قريش،

ووصل تأثير التجارة في نفوس العرب إلى حد بروز ظاهرة النسيء⁽⁴⁾ التي تعني التأجيل؛ بمعنى أنهم كانوا يحلون شهراً من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه شهراً من أشهر الحل (المسعودي، 30/2-31)، كما منحت الأشهر الحرم المجال للتجارة بأمان دون خشيت الاقتتال فيها كما جاء ذلك واضحاً في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية 36)، بالإضافة إلى أن شعائر الحج نفسها لم تكن بعيدة عن التجارة .

أما عن المقيمين الرئيسيين لهذا المورد، فقد كان أحدهما هو الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي شبه الجزيرة لتجد طريقها براً وبحراً إلى مصر وسورية، ثم من الشواطئ السورية عبر المتوسط إلى الشواطئ الأوروبية في بلاد اليونان والرومان، بينما كان المفهوم الآخر هو الموقع الأوسط الذي تحتله شبه الجزيرة العربية بين الشرق والغرب لتمر بها الخطوط التجارية التي تربط بينهما، سواء في ذلك الخطوط البرية التي تخترق شمالي شبه الجزيرة متجهة إلى الشاطئ السوري، أو الخطوط البحرية التي تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارّة بمداخله عند عدن لتكمل طريقها إما برا عبر شبه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال، أو بحرا بطول البحر الأحمر حتى موانئه الشمالية أو متنقلة بين الطريق البري والطريق البحري. (عبد الوهاب، د.ت، 303)

والظاهرة التي تستحق الوقوف عندها في سير الحديث عما يرافق التجارة من معاملات هي ظاهرة الربا الذي يعني القرض بفوائد عالية، والذي يبدو أنه قد تسرب إلى الحياة العربية الاقتصادية عن طريق اليهود الذين كانوا في يثرب (الأفغاني، 1974، 60) بالإضافة إلى ذلك فقد رافق التجارة نشاط مباشر للأسواق التي أخذت تتطور حتى أصبحت في أوج نموها في القرن السابع الميلادي (ماسيه، 1977، 37). وقد كان لهذه الأسواق أهمية كبرى دفعت أحد الباحثين إلى اعتبارها مع وحدة المعتقد الإسلامي من الأسباب الأساسية لتوحيد نظرة العرب إلى العالم وصهر عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بوتقة واحدة، ومنحهم لغة مركزة تنمو على جميع اللهجات (بروكلمان، 1979، 26). والملاحظ أن الأسواق لم تفد التجار العرب من حيث البيع والشراء فحسب وإنما أفادت البدو الذين كانوا يأخذون إتاوات مقابل الحماية والخفارة والخدمة للقوافل الوافدة إلى الأسواق (ضيف، 77).

(4) وقد ذم ربنا سبحانه هذا الفعل المشين بقوله: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (سورة التوبة الآية 37)

ونظراً لأهمية الأسواق في حياة العرب في الجاهلية، وانسجاماً مع المفاهيم القبلية ورغبة في الاستفادة من الأسواق فقد كان بعضها يخضع لسيطرة بعض القبائل إذا ما أقيمت في منطقة نفوذها (الأزرق، 1969، 190/1-191).

وقد اختلف المؤرخون العرب في عدد الأسواق إذ عدها ابن حبيب اثنتي عشرة سوقاً (ابن حبيب، 263) بينما يرى اليعقوبي أنها عشرة (اليعقوبي، د.ت، 270/1)، في حين أوصلها الهمداني إلى إحدى عشر سوقاً (الهمداني، 179-180)، وبسبب هذه الاختلافات قدّم سعيد الأفغاني جدولاً يبين عدد هذه الأسواق وفق عرض كل مؤرخ (الأفغاني، 217).

وبغض النظر عن عدد الأسواق المختلف عليها، فالمهم هو وجود الأسواق ظاهرة بارزة في حياة العرب الثقافية والاقتصادية.

وكانت استراتيجية توزيع الأسواق في شبه الجزيرة تحقق تغطية أغلب الأماكن إن لم يكن جميعها (ابن حبيب، 268)، ومنها ما كان مقتصرًا على تغطية الأحياء والقرى المجاورة وما ينزل بساحته من القبائل، مثل سوق حجر ودومة الجندل وغيرها، ومنها ما كان عامًّا تقد إليه الناس من أطراف شبه الجزيرة العربية كلها مثل عكاظ، وذو المجاز، وسوق بدر (التليسي، الذويب، 2002، 43-44).

ولعل هذا الاختلاف راجع إلى (أن هناك أسواقاً موسمية تقام في أماكن معينة مرة في السنة أو الفصل أو الشهر أو الأسبوع، منها أعم وأكثر شيوعاً لارتباطه بالإنتاج الزراعي والحيواني، أما الجماعات الحضرية فتغلب عليها الأسواق الثابتة؛ لأن لكل مدينة أسواقها تبيع فيها مصنوعات وغلالاتها وتحمل إليها ما تحتاج إليه مما تنتجه البلاد الأخرى) (زيادة، د.ت، 246)، وكانت قريش تتميز بمكانة كبيرة بين العرب نتيجة موقعها الاقتصادي والديني.

ويبدو أن بعض تلك الأسواق كانت تحكمه نظم خاصة لخضوعها للنفوذ الأجنبي كسوق هجر بالبحرين (الحاج حسن، 195) وكانت معها أسواق أخرى تخضع لضريبة العشور مثل صحار ودبا في حين كانت أسواق أخرى لا تخضع لذلك لأنها أرض مملّكة (الأفغاني، 241-242).

وربما كانت هذه الأسواق صورة مصغرة للتوحيد وللتناقضات في الوقت نفسه، وفي ذلك يقول اليعقوبي: (كان العرب قوماً يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسمّوا المحلون وكان فيهم من ينكر ذلك ويُنبّص

نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء، وارتكاب المنكر فيسمون الذادات⁽⁵⁾ (المحرمون) (اليقوي، 1/270-271).

ويعد سوق عكاظ من أهمها لما يتميز به عن سائر أسواق العرب؛ إذ لم يقتصر على الجانب التجاري بل تعداه إلى النواحي الفكرية والثقافية، وكانت قريش وسائر العرب ترتاده نتيجة لذلك، والمعروف أن الأسواق الموسمية التي كانت تقام قريبة من مكة دفعت بالرسول ﷺ أن يعرض دعوته على وفود القبائل في المواسم (ابن هشام، 1/224-225)، مما يعطي حقيقة ثابتة بأن هذه الأسواق كانت منبراً ثقافياً فضلاً عن وظيفتها الأساسية بالبيع والشراء وما تدره من أرباح مالية على التجار، فضلاً عن سعي منظمي هذه الأسواق إلى توفير الأمن لروادها من خلال العديد من الإجراءات التي قاموا بها لتوفير الحماية لتلك الأسواق (الحاج حسين، 196).

المبحث الثالث البعد الاجتماعي للواقع الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية

من المعروف أن تقسيم المجتمع العربي التقليدي يجعل منه فئتين هما أهل المدر وأهل الوبر ولكن ابن سعيد الأندلسي يجعله ثلاث فئات هم الملوك، وأهل المدر - الحضر - وأهل الوبر - البدو - (الأندلسي، 74) وهذا التقسيم يركز على التوزيع الجغرافي، وقد أشار ابن خلدون إلى العلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي في المجتمع فقال: (أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش) (ابن خلدون، 120) ويحدد صالح العلي الفئات الاجتماعية عند البدو بثلاث فئات هي: الصليبية، والحلفاء، والعبيد، فالعرب الصليبية منحدرين من أصل واحد مشترك هو الجد الأعلى للقبيلة؛ لذا كانوا يعدون أنفسهم متساوين نظرياً على الأقل، أما الحلفاء فهم أفراد أو قبائل جاءوا من خارج القبيلة طلباً للحماية والأمن وأخيراً العبيد الذين كانوا يعملون في الأمور البدوية ومعاونة أسيادهم ولا يشتركون في الحرب (العلي، 169-170)..

ويبدو أن التجارة قد اخترقت بنية المجتمع القبلي المشارك في العملية التجارية فظهر تفاوت في توزيع الثروة مما أملى بالضرورة تنامياً في المعيشة وتمايزاً اجتماعياً ضمن تنظيم قبلي مترابط على مستوى الأفراد، فانقسمت القبيلة إلى أغنياء وفقراء، إضافة إلى الانقسام بين مجتمعي الأحرار والعبيد (العلي، 170). ويظهر أن هذا التفاوت كان غير مقبول في وسط المجتمع البدوي ويبدو ذلك واضحاً في قول أحد شعرائهم منتهراً هذا الوضع الذي لا يتماشى مع الحياة القبلية حيث يقول الأعشى دام هذا الوضع:..

⁽⁵⁾ الذود في اللغة: السوق والطرود والدفع، فالذادة هم المدافعون الذابون عن المظلومين، والواقفون أمام الظالمين. وقد ورد "ذادة" بمعنى: يذودون عن الحرم، أما "المحلون" فهم الذين كانوا لا يقيمون وزناً لحرمة الحرم والحرمات مثل حرم مكة، ولا يقيمون للأشهر الحرم قدراً، فكانوا يعتدون فيها وفي كل شهر؛ ولذلك قيل لهم المحلون. (علي، جواد، 58/14).

تبتنون في المشتى ملاء بطونكم

وجاراتكم غرثى يبتنى خمائصا

(الأصفهاني، د.ت، 8/88)

وديوان عروة بن الورد يضحج برفض وإدانة الأغنياء، فهو يرى أن المال مهابة والفقر مذلة (ابن الورد، 24، 1964) وشر الناس في نظر المجتمع هو الفقير، حيث يقول في ذلك

دعيني للغنى أسعى فإنني رأيت الناس شرهم الفقير

كما صورته الشاعر السليك بن السلكة بأنه كائناً مخيفاً فقال في وصفه:

وخوفه ريب الزمان وفقره

بلا عدو حاضر وجدوب

(الأصفهاني، 8/138).

ويظهر أن قدرة هذه الأصوات الفردية على التغيير كانت محدودة، حيث أسهم التفاوت الاقتصادي واختلاف توزيع الثروة بين الناس في بروز ظاهرة اجتماعية في الحياة العربية هي ظاهرة الصلعة، وهذا ما أكدته أحد الباحثين حيث يرى أن ظاهرة الصعاليك كانت بسبب سوء الحالة الاقتصادية (سالم، 440، 1996) إذ كانوا يعانون من الفقر، وبرز رأي يعزو بروز هذه الظاهرة إلى معاناتهم من ناحية النسب واللون أيضاً، فتأبط شراً نسب غير دقيق (الأصفهاني، 8/211)، والسليك بن السلكة ابن حبشية سوداء⁽⁶⁾، وكان بعض العرب يعدون اللون الأسود لوناً غير محبوب (الجاحظ، 2، 1964/178).

ويستنتج مما سبق أن ظاهرة الصلعة كانت محكومة بدوافع تتلخص في الفقر والنسب غير الشريف، واللون الأسود.

ومن خلال دراسة أوضاع الفئات الاجتماعية في حواضر شبه الجزيرة العربية التي كانت أكثر تطوراً من بقية أرجاء شبه الجزيرة الأخرى؛ لذا كان طبيعياً أن تنشأ فئات عديدة فيها، وأن يكون التفاوت الاقتصادي بارزاً بين تلك الفئات.

(6) هو السليك بن عمير بن يثري التميمي، والسلكة اسم أمه: وهو من صعاليك العرب المشهورين، وقيل هم أربعة عرفوا بـ"أغربة العرب" وذؤبان العرب، منهم: عنتر بن شداد، وخفاف بن ندبة السلمي، وعروة بن الورد، والسليك بن السلكة، وهو شاعر أسود من شياطين الجاهلية. يلقب بالريثال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. للمزيد ينظر: الزركلي، 2002، 115/3. ابن قتيبة، 281، 1969.

فهناك فئة رجال الدين في قمة الهرم الاجتماعي ؛ إذ كان الكهان يشرفون على تأجير الأراضي الخاصة بالمعبد للمزارعين، وتُجني الإتاوات باسمهم ، وتساوي العشر في الحاصلات الزراعية (بافقيه، 215، 1973) ، يأتي بعدهم في الدرجة السادة والأشراف ووجوه القوم الذين كانوا يتمتعون بامتيازات عديدة، ويليهم في منزلة فئة التجار الذين كانت تجارتهم في البر والبحر وقوافلهم ورقيقهم الذي يؤدي لهم الواجبات، وكانت الحكومة تعتمد على مصدر الضرائب المفروضة عليهم(علي، جواد، 4/546).

أما ما يتعلق بأسفل الهرم الاجتماعي في مجتمع اليمن مثلاً، فهو يتكون من الخدم والأجراء والعبيد، إذ مر بنا أنهم كانوا يستخدمون في الزراعة، ويظهر أن عددهم كان كبيراً موازياً لما هو عليه في بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية بحكم وجود دولة مركزية، واقتصاد متطور قياساً ببقية المناطق في شبه الجزيرة العربية، ولعل ما يرجح صحة هذا العرض، هو أن أحد ملوك اليمن واسمه ذو الكلاع ملك حمير قد قدّم على أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . ومعه ألف عبد بالإضافة إلى ما كان معه من عشيرته(المسعودي، 2/299)، وبهذا يبدو أن مجتمع اليمن قد عرف العبودية ظاهرة اجتماعية وليس نظاماً اجتماعياً شاملاً.

أما عن واقع منطقة الحجاز الاجتماعي فقد برز التفاوت في الثروة والانقسام الاجتماعي بصورة واضحة في مكة، حيث إنها كانت مدينة تجارية تضم فئة التجار الذين كانوا يملكون ثروة هائلة.

وعلى سبيل الذكر نجد أمثال الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، الذي كان من أكبر أغنياء مكة، وكان عبد الله بن جذعان يشتغل بتجارة الرقيق، وكان عظيم الثراء إلى حد أنه أرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البُرّ والشهد والعسل والسمن للفقراء(سالم، 363). وعلى النقيض من ذلك كان الفقراء يعيشون في حالة من الفقر المدقع والبؤس ، كما كانت توجد فئة من العبيد وكانت تفرض عليهم أجور يومية(ابن مجاور، 7، 1954) وبواقع القياس نفسه، وُجد في الطائف شرائح عديدة منهم التجار والمزارعين والعبيد ، والأمر نفسه ينطبق على يثرب مع تمايز بسيط يتمثل في وجود أغلبية يمتنعون مهنة الزراعة، وتميزت حالتهم بالكفاف، ويبدو أن انشغال أهلها بالحروب فيما بينهم أبعدهم عن الاهتمام بالزراعة ، وإذا كان هنالك تفاوت بين يثرب والطائف، إلا أنه بالتأكيد دون حدة التفاوت في مكة بحكم أن الزراعة تعمل على تجزئة الثروة، وتقلل من الفوارق، في حين تسعى التجارة لخلق تفاوت عن طريق تنمية الثروة، ويبدو أن مجتمع ما قبل الإسلام كان يعاني من اختلالٍ وتفاوتٍ صارخٍ مرده الهوة العميقة بين الأغنياء والفقراء في الأمة، ودور كل منهما في حياة المجتمع المكي.

وفي سياق العرض للتركيبية الاجتماعية لمجتمع شبه الجزيرة العربية، استوقفت الباحثة ظاهرة اجتماعية شغلت جزءاً من تركيبة المجتمع، ألا وهي ظاهرة العبودية التي تعددت مصادرها، إما عن طريق الحروب والأسر أو التجارة من خلال البيع والشراء، أو العجز عن تسديد الديون الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يصبح عبداً لصاحب الدين (الشريف، 1967، 37) ويبدو أن العرب كانوا يُبيحون استرقاق بعضهم بعضاً على العكس من الرومان الذين حرموا استعباد بعضهم البعض (الصالح، 1978، 467).

ويتبين من خلال الاطلاع على بعض المصادر والمراجع أنَّ حالة العبيد كانت رديئة، وكانوا يعيشون في أوضاع صعبة وسوء المعيشة، بدليل استجابتهم بسرعة للدعوة الإسلامية التي كانت تحمل الخلاص، وتخفيف أوضاعهم القاسية، وخير شاهد على ذلك أنهم كانوا قريبين من نفس النبي ﷺ (البلاذري، 1977، 341/1). وقد تاجر أهل مكة بالرقيق واستخدموا الرجال للعمل بعد فرض أجور يومية عليهم، وكذلك فرضت على الإماء منهن أجور ترفيه (ابن مجاور، 7) ويقال إنَّ هند بنت عبد المطلب قد اعتقت في يوم واحد أربعين رقيقاً (الدلو، 170/1).

وقد عرفت مدينة الطائف العبودية أيضاً، أضف إلى ذلك أنَّ يثرب قد ضمت العبيد أيضاً (ابن هشام، 114-115) وكانت نسبة العبيد في اليمن أكثر من غيرها قياساً على شبه جزيرة العرب (المسعودي، 299/2).

ولعل اطلاع تاجر قریش والطائف ويثرب على حضارات الدول المجاورة التي تستخدم العبيد قد جعلهم يدركون قيمة الاستفادة من عملهم لاسيما وأن بعضهم كان يمتلك أرضين، وربما أجَّر العبيد الذين يمتلكون الأرض بحكم وجود ضريبة عمل يومية عليهم من قبل أسيادهم المالكين (الدلو، 170). بل إن عمل العبيد في الزراعة كان وارداً، فقد عمل سلمان الفارسي^(*) في زراعة النخيل وعثق بعد مكاتبة مالكة اليهودي على ثلاثمائة نخلة يحييها سلمان له إضافة إلى أربعين أوقية من الذهب (ابن هشام، 114/1).

الخاتمة

من خلال تتبع الأدوار التي مر به (النظام الاقتصادي) لجزيرة العرب، يمكن ملاحظة ما يلي:

(*) سلمان الفارسي : صحابي جليل كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، ولاء عمر المدائن توفي عام 35هـ. (الزركلي، 111/3).

إن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت تشهد حراكاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً، كان له الدور الفعال في خلق الفاعليات الاقتصادية التي لعبت أدواراً مهمة في إدارة الاقتصاد في المرحلة اللاحقة، وهي فترة صدر الإسلام. كما يمكن أن نلمس هذا الحراك من خلال أنماط المعيشة المختلفة لدى العرب قبل الإسلام، كم لمسنا أثر نمط المعيشة لدى سكان جزيرة العرب في التباين الواضح في حياتهم الاجتماعية، حيث قسم السكان وفق أنماطهم المعيشية إلى طبقات شتى، فظاهرة الرق التي أثير حولها العديد من اللغط، لم تكن سائدة لدى العرب لوحدهم، بل شاركهم فيها كل الملل والدول آنذاك، مع الإقرار بأن العبودية كانت ظاهرة مرافقة وليست نظاماً اجتماعياً متكاملًا. ويرى الباحث أن العبيد قد أدوا دوراً بارزاً ومهماً في الزراعة والصناعة والحرف في العصر الجاهلي.

كما خلس هذا البحث إلى أن الكثير من أنماط الاقتصاد العربي لدى سكان شبه الجزيرة العربية استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام، ولعل ما ورد في القرآن الكريم خير دليل على هذا حيث ورد ذكر التجارة التي مارسها قبيلة قريش بين الشام واليمن (رحلة الشتاء والصيف) قبل الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع

الاصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، تح، محمد جابر عبد العال الحنيني، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، 1961.

ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب مكتبة الأقصى، عمان، 1982.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، 1969.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت 1987، ج2.

المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت 1970.

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى فتوح البلدان، تح، عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987.

أحمد بن يحيى، البلاذري، أنساب الأشراف، تح، محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959 ج1.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956، ج3.

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار صعب بيروت، (د.ت)، ج8.

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
الازرققي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح، رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت 1969، ج1.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد المحبر، تح، أليزه لختن، المكتب التجاري، بيروت (د.ت).
الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، رسائل الجاحظ، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964، ج2.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر المحاسن والأضداد، تح، فوري عطوى، دار صعب، بيروت، 1969
الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، طبعة ليدن، 1968.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، 1963.

بن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تح، ثروة عكاشة، دار الكتب، القاهرة، 1960.
الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة 1967.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1.
الدلو، برهان الدين جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، 1989، ج1.
التليسي، بشير رمضان جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.

علي، جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1977، ج7.
الحاج حسن، حسين حضارة العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الاعلام، دار العلم للملايين، 2002، ج3.
- روم لاندو، الإسلام والعرب، دار الملايين، بيروت، 1977.
- القرويني، زكريا بن محمد بن محمود آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت (د.ت).
- الأفغاني، سعيد أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، ط4، 1974.
- سالم، السيد عبد العزيز تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي معجم البلدان، دار صادر بيروت 1995، ج 3.
- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1960.
- العلي، صالح أحمد تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 2001.
- صالح، صبحي النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت 2001م.
- الواقدي، عبد الله عمر المغازي، تح، مارسون بوسن، عالم الكتب، بيروت، 1966، ج2.
- ديوان عروة بن الورد والسموع، دار صادر، بيروت، 1964.
- لوبون، غوستاف حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1979.
- بروكلمان، كارل تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
- عبد الوهاب، لطفي العرب في العصور القديمة، دار المعرفة (د.ت) ط2.
- خليل، محسن، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982.
- البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، المنمق من أخبار قريش، تح، خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- ابن هشام، محمد بن عبد الملك السيرة النبوية، تح، محمد شحاتة إبراهيم، دار المنار، القاهرة، (د.ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت، 1414هـ، ج13.
- بافقيه، محمد عبد القادر تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973.
- زيادة، نقولا لمحات من تاريخ العرب، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

السمهودي، نور الدين علي بن محمد وفا الوفاء بأخبار دار المصطفى، تح، محمد محي الدين، دار أحياء التراث العربي بيروت 1981، ج2.

ماسيه، هنري الإسلام، ترجمة، بهيج شعبان، بيروت، باريس، 1977.

الصمد، وضاح الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

ابن مجاور، يوسف بن يعقوب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ليدن، 1954.